قال الله تعالى بدأ الدرس الجديد:

القارئ : **((وَمَنْ يُضْلِلِ اللَّهُ فَمَا لَهُ مِنْ وَلِيٍّ مِنْ بَعْدِهِ وَتَرَى الظَّالِمِينَ لَمَّا رَأَوُا الْعَذَابَ يَقُولُونَ هَلْ إِلَى مَرَدٍّ مِنْ سَبِيلٍ * وَتَرَاهُمْ يُعْرَضُونَ عَلَيْهَا خَاشِعِينَ مِنَ الذُّلِّ يَنْظُرُونَ مِنْ طَرْفٍ خَفِيٍّ وَقَالَ الَّذِينَ آمَنُوا إِنَّ الْخَاسِرِينَ الَّذِينَ خَسِرُوا أَنفُسَهُمْ وَأَهْلِيهِمْ يَوْمَ الْقِيَامَةِ أَلا إِنَّ الظَّالِمِينَ فِي عَذَابٍ مُقِيمٍ))** [الشورى:45].

الشيخ : قال الله تعالى : **((ومن يضلل الله فما له من ولي من بعده))** من هذه شرطية وهي للعموم, يعني أي أحد يقدر الله تعالى أن يضل فإنه لا يمكن أن يتولاه أحد بعد الله, ومعنى هذا أنه لا يمكن أن يهديه أحد كما قال تعالى في آية أخرى: **((فمن يهديه من بعد الله))**, **((فما له من ولي من بعده))** يقول المفسر : **" أي أحد يلي هدايته بعد إضلال الله إياه ((وترى الظالمين لما رأوا العذاب يقولون هل إلى مرد من ظالمين)) "**, ترى بصرية, والظالمون مفعول به, ويقولون جملة حالية, ولما رأوا العذاب لما هذه جازمة بمعنى حين, ترى الظالمين والمراد بالظالمين هنا الكافرون كما قال الله عز وجل : **((والكافرون هم الظالمون))**, **((لما رأوا العذاب))** أي حين رأوا العذاب بأعينهم **((يقولون هل إلى مرد من سبيل))** هل استفهام للتمني, يعني يتمنون أن يكون لهم سبيل إلى الرد, وقوله : **((إلى مرد))** أي إلى مرجع, والمراد مرجع للدنيا ليعملوا صالحا, ولكن هذا التمني باء

بالفشل لأن ذلك أمر غير ممكن, بل قد قال الله عز وجل: **((ولو ردوا لعادوا لما نهوا عنه))** فهم يتمنون هذا ويدعون أنهم إذا رجعوا صلحوا ولكن الأمر ليس بذلك, **((هل إلى مرد من سبيل))** قال: أي من طريق, والجواب: لا سبيل, وكما سمعتم لو ردوا لعادوا لما نهوا عنه, كما أنهم إذا غشيهم موج كالظلل في البحار ودعوا الله مخلصين له الدين إذا نجوا عادوا إلى الشرك.

قال: ((وتراهم يعرضون عليها)) غدوا وعشيا, كلمة ترى هنا والتي قبلها هل المراد بها الرسول صلى الله عليه وسلم وحده أو ترى أيها المخاطب ؟ الثاني, لأننا إذا قلنا بالثاني صار أعم مما إذا قلنا بالأول, وتراهم أيها الرائي يعرضون عليها غدوا وعشيا.

" وتراهم يعرضون عليها)) أي على النار)) ((خاشعين)) خائفين متواضعين ((من الذل)) " من للسببية أي بسبب ذلهم, هؤلاء الذين كانوا في الدنيا مستكبرين متعنجهين لا يرون الناس شيئا ولا يقبلون الحق يعرضون على النار على هذا الوصف, خاشعين من الذل يعني قد امتلأت قلوبهم ذلا, **" ((ينظرون)) إليها ((من طرف خفي)) ضعيف النظر مسارقة "** يعني: ينظرون إلى النار والعياذ بالله من طرف أي من بصر خفي أي ضعيف, يسارقون النظر, كالإنسان الذي هو خائف من شيء تجده ينظر إليه نظرا ضعيفا ثم يصرف النظر على طول, وذلك لشدة ذلهم أعاذنا لله وإياكم من حالهم, **" ومن ابتدائية أو بمعنى الباء ",** من في قوله:

((من طرف)) ابتدائيـة أو بمعنـى البـاء أي ينظـرون بطرف خفي, وإذا دار الأمر بين أن تكون ابتدائيـة علـى بابها أو بمعنى الباء فالأولى أن تجعل علـى بابهـا, يعنـي يبتدئ نظرهم من الطرف الخفي.

((وقال الذي آمنوا)) قالوا : مثنين علـى اللـه عـز وجل متحدثين بنعمـه قـال: **((إن الخاسرين الـذين خسـروا أنفسـهم وأهليهـم يـوم القيامـة))** إن تحتاج إلى اسم وخبر, اسمها الخاسـرين, خبرهـا الـذين خســروا أنفســهم, **((الــذين خســروا أنفســهم وأهليهم يوم القيامة))** أي: فقدوها فقدوا أنفسهم وأهليهم يوم القيامة **" بتخليدهم فـي النـار وعـدم وصولهم إلى الحـور المعـدة لهـم فـي الجنـة "** الخاسرين حقيقة ليسوا الـذين فقـدوا المـال ولا الـذين فقدوا الأهل فـي الـدنيا, الخاسـرون حقيقـة هـم الـذين خسروا أنفسهم وأهليهـم, أمـا خسـران أهليهـم فظـاهر لأنه لا يجمع بينهـم وبيـن أهليهـم فـي النـار بخلاف أهـل الجنـة فـإن أهـل الجنـة يقـول اللـه فيهـم: **((والذين آمنــوا واتبعتهــم ذريتهــم بإيمــان ألحقنــا بهــم ذريتهم))** حتى إذا كانت الذرية نازلة المرتبة فإن الله يرفعهم إلى آبائهم, هؤلاء والعياذ بالله يفرق بينهم وبيـن أهليهم فـي النـار, حـتى لـو جمـع بينهـم فمـاذا يكـون ؟ فخسرانهم أهليهم واضح, ولكن كيف خسروا أنفسهم ؟ خسروا أنفسهم لأنهـم لـم يسـتفيدوا مـن الحيـاة الـدنيا شيئا, حياتهم خسارة لأنهم لم يستفيدوا منها شيئا, فلـم يؤمنوا بالله ورسله, وقول المؤلف رحمه الله تعـالى: **" بتخليدهم في النار وعدم وصولهم إلـى الحـور**

المعدة لهم في الجنة لـو آمنـوا " فـي هـذا نظـر ظاهر, والمراد بأهليهم أهلوهم في الدنيا, وليس المـراد الحور المعدة لهم في الآخرة لو آمنوا لأن هذا قـد علـم من قبل, فإنه يقال للميـت إذا دفـن فـي قـبره: **(هذا مقعدك من الجنة)** يعني لو آمنت, ويقال للمؤمن: **(هذا مقعدك من النار)** يعني لو لـم تـؤمن, فـالمراد بالأهلين هنا أهليهم في الدنيا لـم يربـح, وقـول المؤلـف رحمه الله: **" والموصول خبر إن "** أين الموصـول ؟ **((الذين خسـروا أنفسـهم))** هـذا هـو الموصـول, ونبه على ذلك لئلا يظن الظان أن الـذين خسـروا صـفة للخاسرين.

قال الله تعالى: **((ألا إن الظالمين))** يقول المفسر : **" الكافرين ((في عـذاب مقيـم)) دائـم وهـو من مقول الله تبارك وتعالى))** " يعني ليس مـن مقول الذين آمنوا, اتل الآيـة: **((وقال الـذين آمنـوا إن الخاسرين الذين خسروا أنفسـهم وأهليهـم يـوم القيامـة ألا إن الظـالمين فـي عـذاب مقيم))** لو نظرنا إلى السياق لقلنا: إن هذا بقيـة كلام المؤمنين, لكن المؤلف نبه على أن هـذا مـن كلام اللـه وليس من كلام الذين آمنوا, والسياق محتمل لهذا وهذا, محتمـل أن يكـون كمـا قـال المفسـر مـن كلام اللـه, ومحتمل أن يكون من كلام الـذين آمنـوا, والـذين آمنـوا يعلمون أن الظالمين في عذاب مقيم من الـوقت الـذي هم فيه في الدنيا, لأنهم قرؤوا كتاب الله وسـنة رسـوله صـلى اللـه عليـه وسـلم, وقـوله : **((ألا إن الظالمين))**: هذه الجملة مؤكدة بمؤكدين

الأول: ألا, لأن ألا هنـا للتنـبيه والتنـبيه يقتضـي التوكيـد, والمؤكد الثاني: إن الظـالمين, إن لأن إن حـرف توكيـد, في عذاب مقيم أي دائم والعياذ بالله .

في هذه الآيات فوائد : منها أن من أضله الله فلا أحـد يهـديه مهمـا كـانت منزلـة هـذا الـذي حـاول أن يهـديه لقوله : **((ومن يضلل الله فما له مـن ولـي مـن بعده)**) ويشهد لهذا الحكم العظيم المخـوف مـا جـرى للنبي صلى الله عليه وسلم مـع عمـه أبـي طـالب, أبـو طالب شقيق أبي الرسول صلى الله عليـه وسـلم كـان ينصر الرسول صلى الله عليـه وسـلم ويحـوطه ويـدافع عنه, ولما حضرته الوفـاة كـان عنـده النـبي صـلى اللـه عليـه وسـلم ورجلان مـن قريـش فكـان يعـرض عليـه الإسلام يقول : **(يا عـم قـل لا إلـه إلا اللـه كلمـة أحاج لك بها عند الله)** فقـال لـه الـرجلان : أترغـب عن ملة عبد المطلب, وهي ملة الكفر والشـرك, فأعـاد عليه النبي صلى الله عليه وسلم فأعادا, فكـان آخـر مـا قال : هو على ملـة عبـد المطلـب؛ نسـأل اللـه العافيـة والسلامة, مع محبتـه للرسـول صـلى اللـه عليـه وسـلم وشهادته له بالرسالة, لكنه لم يـذعن ولـم يقبـل, فكـان آخر حياته أن قال : على ملة عبد المطلب ومـات علـى الشرك؛ أذن الله تعالى لرسوله صلى الله عليـه وسـلم أن يشفع له في تخفيف العذاب عنـه فشـفع لـه, فكـان في ضحضاح من نار وعليـه نعلان مـن نـار يغلـي منهمـا دمـاغه والعيـاذ بـالله, دمـاغه أعلـى شـيء فـي بـدنه, والنعلان في أسفل شيء, وإذا كـان الأعلـى يغلـي فمـا دونه أشد وأشـد, قـال النـبي صـلى اللـه عليـه وسـلم :

(ولولا أنا لكان في الدرك الأسفل من النـار), لولا أنا شفعت أو لولا أنا في رسـالتي الـتي كـان يـدافع عنها أبو طالب ؟ الظـاهر أنـه للأمريـن جميعـا لأن اللـه شكر له, بـل لأن اللـه تعـالى أذن للرسـول صـلى اللـه عليه وسلم أن يشفع فيه لما قدمه للإسلام من نصر.
ويؤخذ منه أن من نصر الإسلام ولو مـن الكـافرين فلـه فضل, لأن الإسلام دين العدل يعطي كل ذي حـق حقـه, فمثلا إذا أعان الكفار المسلمين إعانة صادقة نعلـم أنـه ليس لهم طمع في ذلك, وانتفع المسلمون بهذا النصـر, فإنه يجـب أن نعـترف بفضـلهم فـي هـذا البـاب, لأنهـم صنعوا إلينا معروفا, ولأن الدين الإسلامي دين العـدل, لا يظلم أحدا حقه, وأما قول بعض الناس : لن نعترف لهم بالفضل لأنهم كفار, فكفرهم بينهم وبين الله, وتفضـلهم علينا حق يجب أن نعترف به.
طيـب أضـرب مثلا لـذلك فـي قضـية كوسـوفا, قضـية كوسوفا حصل فيها م ا سـمعه كـثير منكـم, ومـن الـذي انتصر لهم ؟ الكفار انتصروا لهم, الحلف الأطلسي وضع كل مـا يملـك مـن معـدات يمكنـه أن يقاتـل بهـا ودافـع عنهم, ولم نسمع أحدا من المسـلمين أرسـل طـائرة أو قذيفة, ولعل لها عذرا وأنت تلوم, لكن كون نجحـد هـذا الفضل غلط, نقـول: هـؤلاء لهـم فضـل وكفرهـم بينهـم وبين الله, ونحن لا نحبهم على كفرهم أبـدا, بـل نشـكر لهم الفضل وإن كنا نكرههم غاية الكراهـة لأنهـم أعـداء الله ورسوله, اسمع هذا إذا علمنا أن النيـة صـادقة, أمـا إذا علمنا أنه مكر وخديعة علما يقينيا فهنـا نـذمهم علـى ما فعلوا ولا نمدحهم ولا نعترف لهم بفضـل, لأن الحكـم

يدور مع علته وجـودا وعـدما؛ أرجـع إلـى الفوائـد طيـب : يقول

ومن فوائد هذه الآية الكريمة : أن مـن هـداه اللـه فقـد تولاه, لأنه لمـا نفـى الولايـة عـن الظـالمين فإنهـا تثبـت للمـؤمنين, وبـذلك جـاء التصـريح فـي قـوله تعـالى : **((الله ولي الذين آمنوا يخرجهم من الظلمـات إلى النـور والـذين كفـروا أوليـائهم الطـاغوت يخرجـونهم مـن النـور إلـى الظلمـات أولئـك أصحاب النار هم فيها خالدون))** .

ومن فوائد هذه الآية : أنه ينبغي للإنسـان أن يلـح علـى الله دائما أن يهديه من الضلال, لأنه إذا كان المرجع في الإضلال إلى الله, فإلى من نلتجئ ؟ إلى الله عز وجـل, ما دام الإضلال والهداية بيد الله فلنرجع إليه.

ومن فوائد هذه الآية الكريمة: تحسر وذل الظـالمين إذا رأوا العـذاب لقـوله : **((وترى الظـالمين لمـا رأوا العـذاب يقولـون هـل إلـى مـرد مـن سـبيل))** تحسرهم بقولهم: **((هل إلى مرد من سبيل))** لأن هذا تمني .

ومن فوائد الآية الكريمة التي بعدها: أن هؤلاء الظالمين يعرضـون علـى النـار علـى أكمـل ذل وأخـزى حـال **((خاشعين))** أي ذليلين خائفين من الذل .

ومـن فوائـد هـذه الآيـة : أن المسـتكبرين علـى الحـق المعاندين يجازون بعقاب يناسب معصيتهم, وجه ذلـك ؟ أنهم يعرضون على النـار خاشـعين ذليليـن, ومعلـوم أن العقوبة بالذل مناسبة للمعصية بالاستكبار .

ومن فوائد هذه الآية: أن الظالمين يلحقهم الذل ظـاهرا

وباطنا, الباطن في قوله: **((خاشعين من الذل))** والظاهر في قوله: **((ينظرون من طرف خفي))** .

ومن فوائد الآية الكريمة: تحدث الذين آمنوا بنعم الله عز وجل لقوله: **((وقال الذين آمنوا إن الخاسرين))** فكأنهم يثنون على الله عز وجل بكونهم ربحوا دنياهم وأخراهم.

ومن فوائد الآية : أن العاصي قد خسر نفسه وعلى حسب معصيته تكون الخسارة لأنهم لم يستفد من وجوده في الدنيا شيئا.

ويتفرع على هذا أنه ينبغي للإنسان أن يحاسب نفسه وينظر ماذا صنع, فإن رأى أنه قد ملأ زمانه من الخير المقصود والوسيلة فليحمد الله, وإن رأى أنه أضاعه فليستعتب يؤخذ من قوله: **((إن الخاسرين الذين خسروا أنفسهم))** ولنضرب لهذا مثلا رجل قام يصلي ويقرأ القرآن لمدة ساعة, وآخر يلعب هذه المدة, من الرابح ؟ الأول هو الرابح, لأنه ملأ هذا الفراغ عبادة, والثاني خاسر ضائع, حتى أن بعض أهل العلم قال: إنه يحرم عليه ألا يشغل الزمن بالطاعة لأنه كالذي عنده مال فلم ينفقه في سبيل الله, لكن الصحيح أنه إذا لم يعمره بالمعصية فلا له ولا عليه إلا أنه يعتبر خاسرا بالنسبة لمن شغله بطاعة الله, وأنت فكر في هذا عندما تقوم تصلي, قل لنفسك: إن عمرك هو هذا الزمن الذي أمضيته في طاعة الله, عود نفسك على هذا من أجل أن تحرص على أن تعمر زمانك بطاعة الله.

ومن فوائد الآية الكريمة أن عذاب الكافرين دائم لقوله: **((ألا إن الظالمين في عذاب مقيم))**.

ومن فوائدها تأكيد هذه العقوبة لئلا يقول قائل : إن العذاب قد ينقطع.

قال : **((ومن يضلل الله فما له من ولي من بعده))** من شرطية, والفعل مجزوم بها, مجزوم بماذا ؟ نعم بفعل الشرط ! ... علامة جزمه السكون وحرك بالكسر لالتقاء الساكنين, طيب لماذا اقترن الجواب بالفاء ؟ لأنه مقترن بما.

الطالب : أخبر الله عز وجل أن الكفار يدعون إلى جهنم دعا فكيف نجمع بين: **((وتراهم يعرضون عليها))** العرض هذا إيش ؟

الشيخ: يعرضون عليها قبل أن يدخلوها.

الطالب : يعني على الصراط ؟

الشيخ: الله أعلم, يعرضون عليها قبل أن يدخلوها, والكفار لا يحاولون الصعود على الصراط لأنهم يصرفون إلى جهنم في عرصات القيامة.

ثم قال الله تعالى:

القارئ : **((وَمَا كَانَ لَهُمْ مِنْ أَوْلِيَاءَ يَنصُرُونَهُمْ مِنْ دُونِ اللَّهِ وَمَنْ يُضْلِلِ اللَّهُ فَمَا لَهُ مِنْ سَبِيلٍ))**[الشورى:46].

قال الله تعالى : " **((وما كان لهم من أولياء ينصرونهم من دون الله))** **أي غيره يدفع عقابه عنهم** ", **((وما كان لهم))** أي للظالمين **((من أولياء))** من زائدة إعرابا وهي للتوكيد **((أولياء ينصرونهم))** يعني ليس لهم من يتولاهم

وينصرهم من دون الله أي من عذابه, ودون هنا بمعنى غير كما فسرها المؤلف رحمه الله تعالى, لأنه لا يمكن لأحد أن يدفع عذاب الله عمن أراد الله أن يعذبه أبدا ولا ينصره منه, في الدنيا لو أراد ظالم أن يظلم أحدا أمكن أن يدفعه, لكن عقوبة الله لا يمكن أحدا أن يدفعها.

قال : **((ومن يضلل الله فما له من سبيل))** من يضلل الله جملة شرطية وهي كما سبق جوابها مقرون بالفاء لأنه اتصل به (ما), **" ((فما له من سبيل)) أي طريق إلى الحق في الدنيا وإلى الجنة في الآخرة "** بل يكون أعمى والعياذ بالله, ليس له سبيل إلى الحق, ولذلك تجد الذين قضى الله بإضلالهم يقدم لهم الحق كالمشمس في رابعة النهار ولكن لا يفهمونه قد حيل بينهم وبي, واسمع إلى قول الله تعالى: **((إذا تتلى عليه آياتنا قال أساطير الأولين))** قال الله عز وجل: **((كلا))** يعني ليست أساطير الأولين **((بل ران على قلوبهم ما كانوا يكسبون))** الذنوب جعلته يرى الحق باطلا ويرى الباطل حقا, تتلى عليه آيات الله كالقرآن أو التوراة حين لم تنسخ, ولكنه يقول: هذه أساطير الأولين, قد حيل بينه وبين فهمها, ولذلك كلما رأيت قلبك مطمئن بالقرآن محبا له متدبرا له فاعلم أنه نقي من الذنوب, وكلما وجدت الأمر بالعكس فطهر القلب.

من فوائد هذه الآية الكريمة : أن الظالمين لا أحد ينصرهم من دون الله لأنهم استحقوا العذاب ولا مانع لما أعطى الله ولا معطي لما منع .

ومن فوائد الآية الكريمة أيضا : أن الإضلال بيد الله وأن من أضله الله لا يمكن أن يرجع للحق لقوله : **((ومن يضلل الله فما له من سبيل))**.

ومنها: أنه يجب على المرء أن يلجأ إلى الله دائما ويسأل الله الهداية, وها هو النبي صلى الله عليه وسلم يسأل ربه أن يهديه, أول ما يدعوا في صلاة الله يدعوا بالاستفتاح المشهور: **(اللهم رب جبرائيل وميكائيل وإسرافيل فاطر السماوات والأرض عالم الغيب والشهادة أنت تحكم بين عبادك فيما كانوا فيه يختلفون اهدني لما اختلف فيه من الحق بإذنك إنك تهدي من تشاء إلى صراط مستقيم)** يقول : **(اهدني لما اختلف فيه من الحق بإذنك)** فكيف بنا.

فالمهم أنه يؤخذ من الآية أن يرجع الإنسان في طلب الهداية إلى الله تعالى وحده وأن يعيذه من الضلال .

الطالب : ما معنى قولنا صفة كاشفة في قوله: **((بغير الحق))** ؟

الشيخ : الصفة الكاشفة هذه معناها أنها كالتعليل لما سبق, وأيضا ليس لها مفهوم, وهذا هو المهم .

الطالب: الاعتراف للكفار بالفضل في بعض الجوانب, المستشرقون وما فعلوه من بعض الأشياء ؟

الشيخ : لا المستشرقون ما هم يعملون ... المستشرق يجوب الأرض لينظر ويفكر ويقدر فنيته سيئة, أما نعم العمال فنعم, هم يطلبون المال بأي وسيلة .

الطالب **: ...**

الشيخ **: لا: ((إن المنافقين في الدرك الأسفل**

من النار)) لا تدل على أن غيرهم لا يكون فيهـا, كمـا لو قلت مثلا: فلان في بيـت فلان, هـل ينـافي أن يكـون أحد في هذا البيت ؟ لا, ما ينافي.

الطالب: قـول النـبي صـلى اللـه عليـه وسـلم : **(لولا أنا ...)** والنهي الوارد في قول لو ؟

الشيخ : هذه لولا, وتلك لو, ... أن تقول مـا الجمـع بيـن هذا الحديث وبين النهي عن لو, اسحب السؤال, ويجيء إن شاء الله الجواب, سحبته .

أقول نسبة الشيء إلـى سـببه إذا كـان سـببا صـحيحا لا بأس بها, فمثلا لو أن رجلا سقط فـي البحـر فقـام آخـر فأنقذه يجوز أن يقول: لولا فلان لغرقت, لأنه نسبه إلى سبب معلوم, لكن لو قال: لـولا فلان وهـو مـدفون فـي قبره, هل هذا سبب معلوم ؟ لا, إنسان غرق فـي المـاء وقال: والله لولا الولي فلان سـيدي لغرقـت, يصـح أو لا يصح ؟ لا يصح, شرك؛ المهم خذ قاعـدة نسـبة الشـيء إلى سببه المعلوم يجوز, لكن لا يقـرن مـع اللـه بـالواو, فإن قرن مع الله بالواو صار حراما, مثل أن يقول: لـولا الله وفلان لغرقت, هذا ما يجوز, فنذكر لـك الصـور, إذا قال: لولا الله قيض لي فلانـا لغرقـت, مـا تقـول ؟ هـذا يصح, وهو أعلى الأنواع, لأنه ذكر المسبب والسـبب, إذا قال: لولا فلان لغرقت, هذا جائز لأنه أضافه إلـى سـبب معلوم صحيح, إذا قال: لولا اللـه وفلان لغرقـت, هـذا لا يجوز لأنه شرك بين الله وغيره بحرف يقتضي التسوية, إذا قال: لولا الله ثم فلان لغرقت يجوز, الصور أربعة إذا قال : لولا الله ففلان لغرقـت, هـل الفـاء مثـل الـواو ؟ الفاء تقتضي الترتيب لكنها فـي الواقـع فـي منزلـة بيـن

منزلتين ليست كثم لأن ثم تدل على الترتيب والتراخي, وليست كالواو لأن الواو تقتضي التسوية, فهي في منزلة بين منزلتين, فهل نقول إنها كثم لأنها دالة على الترتيب, أو إنها كالواو لأن ترتيبها يقتضي التعقيب ؟ الأول هو الصواب: لولا الله ففلان, لأنك جعلت فلانا بعد الله عز وجل, وكونه متراخيا أو متعاقبا هذا شيء آخر .

الطالب: يشكل علينا في هذه المسألة ما ذكر عن ابن عباس أنه كان يقول: قول القائل لولا الربان لغرقت السفينة, كان يعد هذا من الشرك الأصغر, فما وجهه ؟

الشيخ : وجهه أمران: أولا: الحديث رواه ابن أبي حاتم فيحتاج إلى تصحيح, ثانيا: أن ابن عباس رضي الله عنهما لعله في وقت الناس قريبون من الشرك, فأراد أن يشدد في هذا الأمر حتى ينتهي الناس عنه, لأن قول الرسول صلى الله عليه وسلم: **(لولا أنا)** واضح أنه أضاف الشيء إلى سببه دون أن يقرنه بمشيئة الله.

ثم قال الله تعالى:

القارئ : **((اسْتَجِيبُوا لِرَبِّكُمْ مِنْ قَبْلِ أَنْ يَأْتِيَ يَوْمٌ لا مَرَدَّ لَهُ مِنَ اللَّهِ مَا لَكُمْ مِنْ مَلْجَإٍ يَوْمَئِذٍ وَمَا لَكُمْ مِنْ نَكِيرٍ)**) [الشورى:47].

الشيخ : قال الله تبارك وتعالى : **((استجيبوا لربكم))** استجاب بمعنى أجاب, ولهذا قال المفسر: **" أجيبوه بالتوحيد والعبادة "** بالتوحيد ضد الشرك, والعبادة ضد الاستكبار, وهذا واجب على كل مسلم أن يجيب الله تبارك وتعالى بالإيمان به وتوحيده وطاعته **" ((من قبل أن يأتي يوم)) هو يوم القيامة ((لا مرد له من الله)) أي أنه إذا أتى به لا**

يرده " ((لا مـرد لـه مـن اللـه)) أي لا أحـد يـرده ويمنعه, وقيل: **((لا مرد له مـن اللـه))** أي أن اللـه سبحانه وتعالى لا يرده إذا أتى به, وكلا المعنيين صحيح, فالله تبارك وتعالى إذا أتى به فقـد قضـى بـه فلا يمكـن أن يرده, وكذلك لا يمكن لأحد أن يرده من دون اللـه, لا أحد يمنعه من الله عز وجل, ولـذلك لـو أن أحـدا حـاول أن يرد يوم القيامة لم يتمكن.

" تلجئون إليه ((يومئذ وما لكم من نكير)) إنكـار لذنوبكم " ((ما لكم من ملجأ)) هذه جملـة مبتـدأ وخبر قدم فيها الخبر على المبتدأ, وأدخلت مـن الزائـدة على المبتدأ من باب التوكيد, يعني: ما لكم أي ملجأ من دون الله عز وجل, والملجأ بمعنى المعاد أو الملاذ الذي يلوذ به الإنسان عما نـزل بـه, وقـوله: **((يومئذ))** أي يومئذ يأتي ذلك اليوم **((وما لكم من نكير))** قال: **" إنكـار لـذنوبكم "** فكـأنه فسـر النكيـر بمصـدر وهـو الإنكار, فإن صح ما فسره به: **((ما لكم من نكير))** فإنه يشكل على هذا قول اللـه تبـارك وتعـالى : **((ثم لم تكن فتنتهم إلا أن قالوا واللـه ربنـا مـا كنـا مشركين))** وهذا إنكار, فعلى تفسير المؤلف: ما لكم من إنكار لذنوبكم, يحتاج أن نجمع بينه وبين هـذه الآيـة, والجـواب أن نقـول: الجمـع بينهمـا أنهـم ينكـرون أولا يقولون **((والله ربنا ما كنا مشركين))** ظنا منهـم أنهم إذا فعلوا ذلك نجوا كما نجا أهل التوحيد, ثم تشـهد عليهـم ألسـنتهم وأيـديهم وأرجلهـم بمـا كـانوا يكسـبون وحينئذ يعترفون ويقرون؛ فيكون الإنكار أولا ثـم الإقـرار

ثانيا, وتكون الآية: **((ما لكم من نكيـر))** أي باعتبـار المآل, أي لا يمكنكم أن تنكروا, وقيل: إن نكيـرا بمعنـى منكر كسميع بمعنـى مسـمع, والمعنـى لا أحـد ينكـر مـا نـزل بكـم ويـدفعه عنكـم, وهـذا المعنـى أصـح وأنسـب لسياق الآية, ما لكم من ملجأ وما لكم من منكـر, يعنـي لا ملجأ تلجئون إليه ولا أحد يدافع عنكم وينكـر مـا نـزل بكم **.**

((ما لكم من ملجأ يومئذ وما لكم مـن نكيـر))

في هذه الآية فوائد :

منها : وجوب الاستجابة إلـى اللـه تعـالى فـورا لقـوله : **((استجيبوا لربكم من قبل أن يأتي))** هذا اليوم الذي هدد الله به هل له وقت محدد فـي عمـر الإنسـان بحيث يستطيع أن يؤخر التوبة والاستعتاب ؟ الجواب لا, لأن الإنسـان لا يـدري مـتى يفجـأه المـوت, وإذا فاجـأه الموت انقطع كل عمل كما ثبت عـن النـبي صـلى اللـه عليه وسلم : **(إذا مات الإنسان انقطع عمله)** فلا فرق بين قيام الساعة الكبرى وبين مـوت الإنسـان مـن حيث انقطاع العمل.

ومن فوائد هذه الآية الكريمة: رأفة اللـه تبـارك وتعـالى بعباده حيث ينذرهم بعذابه قبل الوقوع, ولا شك أن هـذا من رحمته ورأفته بهم وإلا لتركهم يفعلـون مـا يشـاءون حتى ينزل بهم العذاب.

ومن فوائد هذه الآية: أنه لا ملجأ يوم القيامـة مـن اللـه عز وجل, في الدنيا يمكن أن يلوذ الإنسان بـذي سـلطة يستجير به لكن في الآخرة لا.

ومن فوائد الآية الكريمة: أنه لا أحد ينكر مـا نـزل بأهـل

العـذاب مـن العـذاب لقـوله: **((مـا لكـم مـن ملجـأ يومئذ))** نعم.

ثم قال الله عز وجل .

القـارئ : **((فَإِنْ أَعْرَضُـوا فَمَـا أَرْسَـلْنَاكَ عَلَيْهِـمْ حَفِيظًـــا إِنْ عَلَيْـــكَ إِلَّا الْبَلاغُ وَإِنَّـــا إِذَا أَذَقْنَـــا الإِنْسَانَ مِنَّا رَحْمَةً فَرِحَ بِهَـا وَإِنْ تُصِـبْهُمْ سَـيِّئَةٌ بِمَـا قَـدَّمَتْ أَيْـدِيهِمْ فَـإِنَّ الإِنسَـانَ كَفُـورٌ))** [[الشورى:48].

الشيخ : ثم قال عز وجل مسليا النـبي صـلى اللـه عليـه وسلم: **" ((فإن أعرضوا)) عن الاستجابة "** ولـم يستجيبوا فلا لوم عليـك **" ((فما أرسـلناك عليهـم حفيظا)) تحفظ أعمالهم بأن توافق المطلوب منهم "**, **((إن أعرضوا))** جـواب الشـرط **((فمـا أرسلناك عليهم حفيظا))** المعنى: إن أعرضـوا فلا لوم عليك لأنك لم ترسل عليهـم حفيظـا علـى أعمـالهم ولا مسيطرا عليهم إنما أرسلت للإبلاغ وقد حصـل. **" ((فما أرسلناك عليهم حفيظـا إن)) مـا "** كيـف ؟ أراد أن يفسر إن بمعنى مـا, وإن تـأتي نافيـة كمـا هنـا, وتأتي زائدة, وتأتي شرطية, وتأتي مخففة من الثقيلة. فهنا جاءت نافية, والغالب أنها تكون نافية إذا أتى بعدها إثبـات, مثـل: **((إن أنـت إلا نـذير)) ((إن أنـا إلا نذير وبشير))** وما أشبه ذلك, هذه تكون نافية بمعنى ما.

تأتي شرطية مثل: **((إن تبدوا ما في أنفسـكم أن تخفوه يحاسبكم به الله))**.

وتأتي زائدة كما في قول الشاعر :

بنـو غدانـة مـا إن أنتـم ذهبـوا ولا صـريف" ولكن أنتم الخزف "

بنـو غدانـة مـا إن أنتـم ذهبـوا: هـذه إن زائـدة لأنهـا لـو حذفت لاستقام الكلام, لو قيل: بتوا غدانة ما أنتم ذهبوا استقام الكلام, فهي زائدة.

وتأتي مخففـة مـن الثقيلـة بمعنـى أن تكـون بمعنـى إن ولكـن خففـت, وفـي هـذه الحـال يكـون اسـمها ضـمير الشأن محذوفا والجملة الـتي بعـدها تكـون خـبرا, هـذه أربعة معاني لإن.

إن)) مـا ((عليـك إلا البلاغ)) " يعنـي مـا **(("** عليك إلا البلاغ, وقد بلغ أو لا ؟ بلغ البلاغ المـبين, وتعـب في ذلك تعبا عظيما, وأوذي في ذلك أذى عظيمـا, ومـع ذلك فهو صابر محتسب لأنه صلى الله عليه وسلم يعلم أن ما أصابه في ذات الله فهـو خيـر ورفعـة, جاهـد فـي الله حق جهـاده وبلـغ الرسـالة غايـة البلاغ وأوذي علـى ذلك, ولكنه صبر وكان يقول:

هل أنت إلا أصبع دميت وفي سـبيل اللـه مـا " لاقيت ".